

الطب الفرنسي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية

(أداة للهيمنة و حقن للتصير)

د/صليحة علامة/ قسم التاريخ / جامعة الجزائر(2)

الملخص باللغة العربية

إن ممارسة الطب والعلاج مهنة نبيلة ، كانت ولا زالت وسيلة لتخفيف آلام الناس ومعاناتهم والحفاظ على صحة المجتمع. إلا أن خضوعها لخدمة الأغراض السياسية خلال الفترة الاستعمارية في الجزائر(1830-1962) أفقدها الهدف الإنساني لهذه المهنة لتصبح أداة في يد الإدارة الاستعمارية استغللتها في نشر المسيحية و تسريب أفكار الحضارة الأوروبية، وبسط الهيمنة الفرنسية على المجتمع الجزائري مما جعل الطب والعلاج مظهرًا من مظاهر الاستعمار.

Résumé en anglais

At all times, providing medical treatment to people was one of the most noble activity, in a manner that doctors work on curing pain and suffer of the human being, and promoting the health situation of the society.

However , the french administration, during the colonisation era (1830/1962), used the health care policy as a tool to serve the objectives of the occupation, which are essentially, the spread of christianity among the muslim people, promoting the european civilization, and setting the french hegemony all over the algérien society.

As a consequence the health care became a destructive aspect of the colonialism.

المقال

كانت مهنة الطب ولازالت وسيلة لتخفيف الألم عن الإنسان والقضاء على الضرر الذي يلحق بجسده و نفسيته ، إلا إن الحكومة الفرنسية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية أخضعت هذه المهنة لسياستها الاستعمارية وحوّلت الهدف النبيل منها لخدمة أغراضها السياسية ومصالحها الاستعمارية، حيث أصبح الطب والعلاج وسيلة لتسريب الحضارة الأوروبية وسط المجتمع الجزائري وفرض هيمنته عليه. فقد كان العمل السياسي وفرض الهيمنة الاستعمارية من أولويات الحكومة الفرنسية إذ أكد الجنرال دومال (D'Aumale) في خطاب لضباطه أن العمل الإنساني مهم ولكن الأولوية للعمل السياسي .⁽¹⁾ و على هذا الأساس تم إخضاع الطب والعلاج لخدمة أغراض فرنسا الاستعمارية. فقد كلفت الحكومة الفرنسية الأطباء العسكريين والمدنيين على حد سواء بأداء هذه المهمة للوصول إلى غايتها، معتمدة في ذلك مبدأ العلاج من اجل الاحتلال (Guérir pour conquérir). وما يؤكد ذلك هو تعاليم وزارية، وتصريحات عديدة لرجال السياسة والطب، منها ما تقدم به المترجم الفرنسي توستان دي مانوار* (Toussaint Du Manoir) سنة 1841، حين قال أن اسم الطبيب مفتاح عمومي مؤكد للتوغل وسط الجزائريين . وعليه فإن ممارسة الطب في الجزائر من قبل أناس متعلمين، ولهم ضمائر حية ، غير مرتبطين بمصالح ، ستكون ربما إحدى الوسائل المؤكدة في نجاح عملية إدخال الحضارة الفرنسية في أوساطهم.⁽²⁾

كما صرح الماريشال ليوتي (Lyautey) عن سياسته في مدغشقر(1897-1902) ثم في عين الصفراء (1903-1906) وعمالة وهران (1906-1910) ،

حين قال: انه ليس هناك ما هو أقوى من فعالية دور الطبيب كعامل توغل وجاذبية وسلام وسط السكان الأصليين. و في مايلي النص بلغته الأصلية حتى يكون أكثر دلالة على المعنى.

"Il n'est pas de fait plus solidement établis que l'efficacité du rôle du médecin comme agent de pénétration, d'attirance et de pacification"⁽³⁾

إضافة إلى خطاب وزير التكوين العمومي سالفاندي (Salvandy) خلال المؤتمر الطبي الذي انعقد في باريس سنة 1845⁽⁴⁾، حيث ذكر اعتماد حكومة الملك بشكل كبير على التفاني المهني للأطباء ، وتأثيرهم المعنوي في نشر الحضارة وسط الجزائريين ، و تأكيد الهيمنة الفرنسية في إفريقيا. و أكد ذلك خلال زيارته إلى الجزائر وإلى مستشفى الداى بالعاصمة سنة 1846 ، حيث وجه كلمة للأطباء العسكريين يذكّرهم فيها بمهمتهم الأساسية ، وهي إدخال الحضارة الفرنسية وسط القبائل الجزائرية والتأكيد على دعم الحكومة لهم في هذا المجال. و في مايلي مقتطفات من هذه الكلمة بلغتها الأصلية .

"Le gouvernement du roi compte beaucoup sur le dévouement professionnel sur l'influence morale des médecins de l'Algérie pour la civilisation des arabes pour l'affermissement de la domination française en Afrique"⁽⁵⁾

"...vous avez une autre mission aussi important a remplir c'est de concourir pour une grande part a faire pénétrer notre civilisation au milieu des tribus arabes et kabylesDe notre coté nous ferons nos efforts pour vous mettre en mesure de propager parmi les indigènes l'instruction médicale qui sera

utile a la foi a humanité et a l'établissement de notre puissance dans ce pays".⁽⁶⁾

و مع نهاية أربعينات القرن التاسع عشر قدم الطبيب أغنولي (Agnely) تقريراً عن عملية التلقيح في الجزائر ، قال فيه بصريح العبارة : "إن التأثير السياسي للطب والتأثير المعنوي للطبيب ، وسيلة للغزو ونشر الحضارة في الجزائر".⁽⁷⁾

"Influence politique de la médecine, influence morale du médecin comme instrument de conquête et de civilisation en Algérie" .

و من هنا بدأ اهتمام الحكومة الفرنسية بعلاج الجزائريين منذ القرن التاسع عشر بطريقة عنصرية وهدف استعماري ، حيث كلفت الأطباء العسكريين بمهمة الفحص وتقديم العلاج ونشر عمليات التلقيح وسط القبائل الجزائرية ، وهم مطالبون إلى جانب ذلك بمعرفة أسرار وعادات وتقاليد الجزائريين ، وتحديد نقاط ضعفهم حتى تتمكن من بسط هيمنتها عليهم . وكانت البداية بمبادرة من الطبيب الجراح جيسكارد (Giscard) الذي استعمل الطب وسيلة للتغلغل وسط القبائل الجزائرية منذ السنوات الأولى من الاحتلال، بدأ في تقديم العلاج للجزائريين في سوق بوفاريك في جويلية 1834⁽⁸⁾ . وقد تمكن خلال هذه السنة من تكوين علاقات شخصية مع الجزائريين وسط ستة عشرة قبيلة ، مما لفت أنظار الساسة والأطباء الفرنسيين إلى أن الطبيب هو العامل الأساسي والوحيد الذي يمكنه الدخول وسط الجزائريين ، والتأثير عليهم لثبيت قواعد الحكم الفرنسي في المنطقة ، خاصة حين ذكر أن تقديم العلاج وسط القبائل البعيدة والمعزولة، جعله يكسب ثقة الجزائريين ويتنقل في أوساطهم بكل حرية ، في أمن ودون خوف⁽⁹⁾ . وليأتي بعده الدكتور بوزان (Pouzin) طبيب الحاكم العام ، ويتبنى فكرة الفعالية

السياسة لمهنة الطب ، وطرح إشكالية تمكن الطبيب المسيحي من كسب ثقة مختلف رؤساء القبائل وخاصة العلماء والمرابطين ذوي التأثير الكبير كرجال دين ، من خلال تقديم العلاج المجاني.⁽¹⁰⁾

وقد باركت الحكومة الفرنسية هذا الرأي حين أقام في جانفي 1835 خيمة في سوق بوفاريك ، على بعد عشرون كلم من العاصمة ، يقدم فيها العلاج والأدوية للجزائريين بالمجان .

أما من الناحية الرسمية فلم يسمح للجزائريين بالمعالجة لدى الأطباء الفرنسيين و لا دخول المستشفيات، إلا بعد إنشاء المكاتب العربية سنة 1844 رمز القمع والإرهاب ، وذلك بعد استفحال ظاهرة تفشي الأوبئة ، وانتقال العدوى إلى المستوطنين . حيث أكد الحاكم العام سنة 1847 على مضاعفة عدد أفراد سلك ضباط الصحة ، مع تعيين ثلاثة أطباء، لكل عمالة طبيب لخدمة المكاتب العربية . وقرر وزير الحرية يوم 29 جوان 1847 أن "الأهالي" سوف يعالجون مجانا من طرف ضباط الصحة العسكرية بالمكاتب العربية⁽¹¹⁾ ، و بأمرية 30 جوان 1847 الصادرة عن وزارة الحرية ، تم إنشاء مصلحة الصحة على مستوى المكاتب العربية ، مع إجبارية وضع سجل تدوّن فيه كل الملاحظات الطبية والمناخية المتعلقة بحياة الجزائريين ، يتجدد كل خمسة عشر يوما.⁽¹²⁾

رغم ذلك و حسب الطبيب بيرتراند (Bertherand) - رئيس المكتب العربي بعمالة الجزائر خلال الفترة 1848-1855، فإن المكاتب العربية لم تؤسس أبدا مصلحة طبية منتظمة، و أن سكان القبائل ، المحرومين من كل إسعاف طبي ، كانوا يظهرون دائما النفور من المراكز الإستشفائية الفرنسية. لان مهما كانت نية الطبيب فهو داخل ضمن هذا الرمز المخيف المعروف بالمكاتب العربية.

وإمام رفض الجزائريين الالتحاق بالمؤسسات العلاجية الاستعمارية، فكر الدكتور بيرتراند سنة 1848 في إنشاء مستشفيات خاصة بـ "الأهالي"، تسير بأموال الجزائريين التي تجمع من ضريبة العشور السنوية، لتحقيق الهدف الأسمى من هذه السياسة، وهو التوغل وسط السكان الأصليين بعد كسب ثقتهم.⁽¹³⁾

و في سنة 1849 أمر الوزير الفرنسي المسؤول عن الجزائر، بأن يتجه الأطباء الفرنسيين إلى بيوت "الأهالي" لتقديم العلاج المجاني بهدف التقرب من الجزائريين، ودمجهم في المجتمع الفرنسي.⁽¹⁴⁾ وصدر نفس القرار من الحاكم العام راندون (Randon) سنة 1852⁽¹⁵⁾. و لتوسيع عملية الاحتكاك بالجزائريين دعت الحكومة إلى تعلم لغة "الأهالي"، والزيادة في التسهيلات الطبية لهم على مستوى البلديات، بعدما لوحظ أن المستفيدين من الطب هم الأوروبيون فقط.⁽¹⁶⁾

ولتسهيل العملية والوصول الى الأسرة الجزائرية و بالضبط المرأة الجزائرية، العنصر الأساسي في الأسرة، تم استعمال الطبيبات الفرنسيات اللواتي حققن ما لم يحققه الأطباء الرجال في الدخول وسط الأسرة الجزائرية. بدء تطبيق العملية منذ سنة 1895، حين كلف الحاكم العام جول كامبو (J.Cambo) الطبيبة شولبي (Chellier)، بدراسة موضوع الصحة عند المرأة الجزائرية⁽¹⁷⁾، وكيفية إيصال العلاج إليها، بإرسالها في مهمة طبية إلى منطقتي الـأوراس وبلاد القبائل، كما أرسل بعثات مشابهة إلى مناطق أخرى من البلاد. وبعد الدراسة تم توظيف نساء جزائريات قابلات إلى جانب القابلات الفرنسيات⁽¹⁸⁾. و في وثيقة أرشيفية رسمية تم التأكيد على إن الوصول الى المرأة الجزائرية يعني السيطرة والتأثير على الأطفال. لذلك تم إنشاء أماكن للعلاج خاصة بالنساء ا

لجزائريات تعمل فيها طبيبات، بدعم ومساندة من الإمبراطورة فوجيني (Fugénie)⁽¹⁹⁾. زوجة الإمبراطور نابوليون الثالث.

و من جهة أخرى لجأت الحكومة الفرنسية في الجزائر إلى تأسيس مصلحة الطب المدني والسماح لبعض الجزائريين بالعمل فيها . حيث تم إنشاء مصلحة طب الاستعمار (médecine de colonisation) بمرسوم 21 جانفي 1853 ، الصادر عن وزير الحربية الماريشال سانت أرنو (Saint Arnaud). حيث كان من المفروض أن يتكفل طبيب الاستعمار بعلاج المستوطنين ، ويضمن في نفس الوقت مراقبة طبية للجزائريين القاطنين بعين المكان. إلا انه وجه العلاج للأوروبيين فقط، ولم يسمح لهم بعلاج الجزائريين أبدا ، حتى ضباط الصحة الجزائريين، فقد وضعوا تحت المراقبة الإدارية حتى لا يقدمون العلاج للجزائريين، مثل ما حدث مع ضابط الصحة محمد العربي الصغير ، الذي شغل منصب طبيب الاستعمار، حيث كتبت ضده شكوى - من السلطات المحلية إلى الحاكم العام- في أكتوبر 1876، حول استياء المستوطنين منه نتيجة تعامله مع الجزائريين المسلمين وإعطائهم الدواء وتعليمهم طريقة العلاج.⁽²⁰⁾ وكذلك ضابط الصحة بولوك باشي الذي كتبت ضده عدة تقارير للحاكم العام تتهمه بالغياب المتكرر عن العمل، و تماونه في أداء واجبه المهني، وإهماله لمرضاه، بسبب زيارته للدواوير وتقديم العلاج في المناطق البعيدة وسط الجزائريين مرتين في الأسبوع وفق مرسوم مارس 1883.⁽²¹⁾

كان الاتصال بين أطباء الاستعمار و الشعب الجزائري أمرا صعبا جدا، بحكم اللغة وعدم الثقة الموجودة بين الطرفين خاصة من الطرف الجزائري. ولتسهيل عملية الاتصال والتوغل وسط الأسرة الجزائرية وكسب ثقة السكان وتقبلهم للحضارة الغربية

والهيمنة الفرنسية تم إنشاء منصب المساعد الطبي الجزائري بمرسوم 14 سبتمبر 1904، لمساعدة أطباء الاستعمار في عيادات الأهالي ، وفي دورات العلاج الأسبوعية في القبائل الجزائرية ، عملوا تحت سلطة طبيب الاستعمار كمتترجمين ومنفذين لتعليماتهم ، يوزعون الأدوية ويقومون بتحريات وإطلاع الطبيب على عادات وتقاليد المنطقة.⁽²²⁾ إن تناقضات الإدارة الاستعمارية التي انشأت هذه الهيئة لإسعاف الجزائريين، لم تسمح بتحقيق الهدف من تقديم العلاج للجزائريين بل أدت الى ظهور عدم الثقة في الطبيب الفرنسي وحتى الجزائري المتخرج من المدرسة الفرنسية.

وفي إطار دعم طبيب الاستعمار في مهامه السياسية ، أسس الحاكم العام فيوليت (Violette) أواخر سنة 1925⁽²³⁾، منصب الممرضات الزائرات الاستعماريات (Infirmières Visiteuses Coloniales) بمصلحة طب النساء و الأطفال في الدواوير، حيث كان دورهن اجتماعي بالدرجة الأولى، تمثل خاصة في الاتصال بالمرأة الجزائرية في القرى و الدواوير لإسعاف الأمهات والرضع. وقد كانت زيارة الطبيب الفرنسي للدوار ، دائما تسبقها حملة للجيش الفرنسي لتأمين المنطقة وحراسة الطاقم الطبي ، و تجهيز الشعب بطريقة مهينة ليفحصهم الطبيب. فظهوره في الدوار يكون في جو من القلق والخوف ، وسط حشد من الجنود المسلحين، مما يحدث قلقا وسط السكان ويهز استقرار المنطقة .

إن هذا الإجحاف في عملية علاج الجزائريين أدى إلى عجز الحكومة الفرنسية في تحقيق غايتها في جعل الجزائريين يثقون بالطبيب الفرنسي ، حتى يتمكن من أداء مهامه السياسية والحضارية وبسط قواعد الهيمنة الفرنسية بالجزائر . حيث بقي اغلب الجزائريين بعيدين عن العلاج الفرنسي بسبب عدم الثقة، خاصة مع استمرارية ارتباط

العلاج الفرنسي المقدم للجزائريين بالإدارة الاستعمارية، وبالكينيسة الكاثوليكية طيلة الفترة الاستعمارية.

ولسد الفراغ الذي أحدثته المؤسسات العلاجية الفرنسية وسط التجمعات السكانية الجزائرية ، أصدرت توصيات بإنشاء بعض المستشفيات في المناطق العربية ، وهي مراكز علاج خاصة بالجزائريين، حيث نصح الطبيب ريكاردو (Richardot) بأن تسند إدارة هذه المراكز إلى الأطباء الداخلين وإلى الآباء البيض مع احترام عادات وتقاليد السكان.⁽²⁴⁾ فكان ذلك حيث وضعت معظم المستشفيات في الجزائر تحت إشراف جماعة رجال الدين الكاثوليك، أما المستشفيات الخاصة بالجزائريين والمعروفة باسم مستشفيات الأهالي فقد كانت تابعة لرجال الدين كلية.

وضعت هذه المؤسسات العلاجية المخصصة للجزائريين تحت إشراف رجال الدين المسيحيين، حيث انتشرت جماعات الآباء البيض لتحقيق غرض الحكومة الفرنسية في نشر المسيحية الكاثوليكية وسط الجزائريين مقابل العلاج، وبدا البحث عن أطباء جزائريين و محاولة استغلالهم للعمل لصالحهم⁽²⁵⁾ أحيانا ، وأحيانا أخرى يضعون أمامهم عراقيل مهنية لإبعاد المرضى الجزائريين عنهم ، كما حدث مع الطبيب محمد بن مصطفى الذي وجد منافسة طبية وتحديا لسلطته من طرف رجال الدين الكاثوليك.⁽²⁶⁾

تمركزت المؤسسات العلاجية التابعة لرجال الدين بالقرب من الدواوير والتجمعات السكانية الجزائرية. وكانت قليلا ما تحتوي على طبيب دائم لان هدفها لم يكن العلاج ، وإنما نشر المسيحية. حيث استدعت لهذه المهمة سنة 1845 جماعات الأخوات البيض و وزعن على العمالات الثلاث ، منهن أخوات القديس جوزيف بعمالة الجزائر، و أخوات سان فانسون دو بول اللواتي أقمن مستوصف في بيوتهن بشارع سالوست

بمدينة الجزائر سنة 1842 ، و كنّ يسيرن مستشفيات مصطفى باشا منذ 1842 والعفرون منذ 1850 ، و سيدي غيلاس (Novi) سنة 1851 ، و الدويرة منذ 1859.⁽²⁷⁾ ومستشفى الحجوط سنة 1850. زادت الجمعيات التبشيرية انتشارا ونشاطا بعد ظروف مجاعة 1868-1869 التي استغلها الكاردينال لافيجري (Lavigerie) لنشر المسيحية الكاثوليكية في الجزائر، مقابل توفير الغذاء و المأوى للجائعين.

أُضيف إلى ذلك مستوصفات مخصصة للجزائريين في المحطات التابعة لمبشري إفريقيا، وهي سانت مونيك بالعطاف ، وفي مناطق بلاد الزواوة (واغزن - بني بني - تاقمونت عزوز - واضية - بني اسماعيل) و ورقلة و غرداية ، و أخرى في محطات تابعة لأخوات بعثات إفريقيا في مناطق الجمعة نسريج - تاقمونت عزوز - واضية - بني اسماعيل . نلاحظ أن انتشار هذه المستوصفات كانت في نفس المناطق للاعتناء بالرجال والنساء معا. حيث كانوا يقومون بزيارة المرضى في المداشر ويقدمون العلاج⁽²⁸⁾ وهذا على مستوى الأرياف و القرى.

وأمام بروز الدور الايجابي لهذه الجمعيات لصالح الحكومة الفرنسية والمسيحية الكاثوليكية، وقع عقد مع جماعة الآباء البيض لمؤسسة بعثات إفريقيا (les pères des Missions d'Afrique) ، حيث كلف الحاكم العام جول كامبو أعضاء هذه الجمعية - بعد مبادرة الكاردينال لافيجري بتأسيس مستشفى للأهالي "سان سيبريان" بالعطاف سنة 1874 - ، بإنشاء و إدارة وتسيير مستشفيات الأهالي، التي أقيمت في ما بعد في كل من سانت اوجيني بعين الحمام ببلاد الزواوة ، و سانت أوغسطين بأريس بمنطقة الاوراس ، و مستشفى لافيجري في بسكرة، و سانت ماري مادلان بغرداية ، وسان أندري في الأبيض سيدي الشيخ و غيرها، نذكر منها مايلي:

كان أول مستشفى لرجال الدين في عمالة الجزائر مستشفى سانت اليزابيث (Sainte-Élisabeth) ، تأسس بالقرب من مقر سان سيريان بالعطاف (Sait-Cyprien-des-attafs) بسهل شلف سنة 1874 ، تحت إشراف الكاردينال لافيغري⁽²⁹⁾ أسقف الجزائر ، وبرعاية الجنرال وولف (Wolf) ، الذي قال أنها الوسيلة الوحيدة لكسب قلوب الجزائريين . وقد كان هذا المستشفى نموذجاً ، بنيت عليه باقي مستشفيات الأهالي ، ولجلب الجزائريين كتب على باب مدخل المستشفى كلمة " بيت الله " باللغة العربية.⁽³⁰⁾ كانت تسيره 12 من الأخوات البيض، إحداهن مديرة المستشفى وأخرى متكفلة بالمرضى والصيدلية ، تعمل تحت سلطتها عدة راهبات ممرضات ذوات شهادات. فتح المستشفى يوم 5 فيفري 1876 ، وكان يستقبل جزائريين من ثنية الحد و قسنطينة و وهران و بلاد القبائل الخ.⁽³¹⁾

أما مستشفى سانت أوجيني (Sainte- Eugénie)، تأسس بأمر من الحاكم العام جول كامبو سنة 1893⁽³²⁾ ببلاد القبائل بالقرب من قرية واغزن بعين الحمام في قبيلة بني منقلات، بلدية كاملة الصلاحيات جرجرة. ، وافتتحت أبوابها لاستقبال المرضى يوم 12 افريل 1894 ، كانت تسيره 12 من الأخوات البيض، أنشئ بجواره منزل تسكنه القابات الفرنسيات المكلفات بتعليم القابات الجزائريات طب التوليد.⁽³³⁾ كان يقصده المرضى من جرجرة و لريعة ناث إيراثن و ذراع الميزان و صورالغزلان والمسيلة.

طبقت جماعة الآباء و الأخوات البيض (Les Missionnaires d'Afrique) سياسة التنصير في المستشفيات التي أنشأوها واشرفوا عليها ، وذلك بدعوة المرضى لاعتناق المسيحية الكاثوليكية مقابل الغذاء (على منوال طريقة لافيغري في التنصير)، ولا أدل على ذلك مما حدث في مستشفى سانت أوجيني ببلاد القبائل ، حيث كانت عملية الاعتناء بالمرضى وغذائهم ، مشروطة بعملية التخلي عن الإسلام

واعتراف المسيحية الكاثوليكية، وقد طرحت هذه القضية (مساومة المرضى الجزائريين على دينهم مقابل الغذاء) بعد عدة شكاوى رفعها طبيب المستشفى إلى مستشار الحكومة العامة في الجزائر، يومي 28 ماي و 3 جوان 1903، يشتكي فيها الأخوات البيض ومعاملتهم السيئة للمرضى الجزائريين، وفي مايلي مقتطفات من تلك الرسالة:

"...Les malades en général maltraités, reçoivent une nourriture insuffisante et mauvaise, à l'exception de ceux qui témoignent de leur intention de se convertir à la religion catholique, aux quels un régime de faveur est réservé..."⁽³⁴⁾

كان عدد المرضى الجزائريين في هذا المستشفى في انخفاض مستمر، و السبب يعود حسب طبيب المستشفى إلى عدم الاعتناء بالمرضى، و التغذية السيئة وسياسة التمييز العنصري التي كانت تطبق على المرضى الجزائريين بين من ابدوا الرغبة في اعتناق المسيحية الكاثوليكية و من ثبتوا على دينهم الإسلام. لذلك فمحاولات التنصير المتكررة للمرضى هي التي نفرت سكان بلاد القبائل من الالتحاق بالمستشفى، هذا ما أكدته تقرير طبيب مستشفى سانت أوجيني ببني منقلا حول نقص عدد المرضى بسبب سياسة الأخوات البيض في تنصير المرضى. و في ما يلي مقتطفات من نص الوثيقة بلغتها الأصلية حتى تكون أكثر دلالة على المعنى:

"Cet état de choses éloignant de l'hôpital de Beni Menguellet les malades musulmans"⁽³⁵⁾

واستمر العدد في الانخفاض، بسبب نفور الجزائريين من هذه المستشفيات نتيجة عملية التنصير مقابل حياة كريمة في المستشفى (الغذاء). وأمام هذا الوضع السيئ للمرضى

رفعت لجنة مكوّنة من سكان المنطقة شكوى تدعو فيها الإدارة الفرنسية إلى العمل على لائكيه مستشفى سانت اوجيني.⁽³⁶⁾

وترامنا مع مستشفيات الأهالي تأسست عدة دور للأخوات البيض، لزيارة المرضى في البيوت وتقديم العلاج المجاني ، حيث كان انتشارها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في الفترة ما بين 1850-1895 ، حسب ما وردت في جدول أعمال و مؤسسات عمالة الجزائر ، التي نشرت تحت إشراف المكتب المركزي للأعمال الخيرية ، المعترف بفوائدها العمومة بمرسوم 3 جوان 1896 وهي كالتالي :

*أخوات النجدة الحميدة لترويس (Les Sœurs Du Bon-Secours De Troyes) : دارا واحدة في مدينة الجزائر.

* بنات الخير دو سان فانسون دو بول (Les Filles De La Charité De Saint-Vincent De Paul) : 21 دارا منتشرة في اغلب دوائر عمالة الجزائر .

* أخوات المذهب المسيحي (Les sœurs de la doctrine Chrétienne) : 15 دارا منتشرة في اغلب دوائر عمالة الجزائر .

* أخوات سيدتنا دو لا ميرسي (Les Sœurs De Notre Dame De La Merci) : دارا واحدة بسان اوجين بالعاصمة.

* أخوات سان جوزيف (دي فانس) (Les Saint-Joseph Des Vans) : 7 ديار

* أخوات سان جوزيف (دو سان جون دو موريان) (Les Sœurs saint-joseph)

(de Saint-Jean les De Maurienne) : 5 ديار.

* أخوات البعثات الإفريقية (Les Sœurs Des Missions d'Afrique):7: ديار مخصصة للقبائل والعرب ركزت جهودها على منطقة القبائل و غرداية و العطات.⁽³⁷⁾

إن الثورة العلمية التي قام بها الفرنسيون في مجال الطب والعلاج على أرض الجزائر، لم يستفد منها أبناء البلاد، نتيجة انتهاج الحكومة الفرنسية لسياسة التمييز العنصري واستعمال مهنة الطب لأغراض استعمارية أفقدتها الهدف الإنساني والنبيل لهذه المهنة ، حيث ارتبط فيها الطب الفرنسي بالسياسة والدين مما جعله مظهرا من مظاهر الاستعمار، فالطبيب الفرنسي نادرا ما لا يكون سياسي أو عسكري أو رجل دين. الأمر الذي جعل الجزائريون يرفضون زيارة الطبيب "الرومي" لأنه من مظاهر الاستعمار مثله مثل الجيش الفرنسي الذي اضطهد السكان وبطش بهم .

فرغم كل الجهود التي بذلتها فرنسا، و رغم عقيدة الشعب الجزائري في الطب والعلاج ، واحترام هذه المهنة النبيلة ، فقد كان من الصعب عليه الفصل بين الطب ومظاهر الاستعمار الأخرى. ففكرة العداء والخوف كانت هي المسيطرة ، نتيجة لارتباط الطب والعلاج بالسلطة الإدارية التي جعلت من العلاج وسيلة لتسريب أفكار الحضارة الغربية وبسط الهيمنة على المجتمع الجزائري و الكنيسة الكاثوليكية التي جعلت منه هي الأخرى وسيلة للتصير، فقد ربط الجزائريون بين عناصر ثلاثة ، الاستعمار والدين والطب، فلم يكن من السهل عليهم الفصل بين الطب وغيره من مظاهر الاستعمار.

الاحالات

(¹)-A.O.A.IEE10.345 (Rapport), in Yvonne TURIN,
**Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, écoles
 médecines, religion, 1830-1880**, Alger ,éd. Houma , 2003,
 p. 150

(²)-CH.DE TOUSTAIN DU MANOIR," **Journal de mon
 voyage d'Alger au Ghréris près Mascara juin 1841**", publié
 par Marcel EMERIT, in R.A., T.XCIX, Vol.99, n°442-443,
 Alger, la société historique algérienne, institut de géographie,
 1955, p.141

(³) -Jacques DEVAUTOUR," LYAUTEY Maréchal de France
 et le service de sante", asnom, n°128, 94^e année, déc. 2014,
 p.64

(⁴)- Yvonne TURIN , op.cit., p.19

(⁵) - E.L. BERTHERAND, **Médecine et hygiène des
 arabes**, Paris , Germer Baillière librairie éditeur, 1855 ,p.151

(⁶) - E.TURIN, op.cit., p.97

(⁷) - Ibid ., p p. 306-307

(⁸) - E.L BERTHERAND, op.cit , p. 555

(⁹) - E.TURIN, op.cit., p.81

(¹⁰) -Ibid., p.83

(¹¹) - E.L. BERTHERAND, op.cit, p.556

(¹²) - E.TURIN, op.cit., p..97

(¹³) - E.L. BERTHERAND, op.cit ,p. 558

(-) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، 1954-1830، بيروت، دار الغرب الاسلامي،
(¹⁴1998، ج7، ص 229

(¹⁵) - نفسه، ص 230

(¹⁶) - نفسه، ص 235

(¹⁷) - Hélène. ABADIE FEYGUINE, , **De l'assistance médicale des femmes indigènes en Algérie**, Montpellier, 1905 , p.20

(¹⁸) - H.SOULIE, **Hygiène et assistance en Algérie**, rédacteur principal Ed.Bruch ,Alger Mustapha ,Giralt ,1900, p. 150

(¹⁹) -H. ABADIE FEYGUINE, op.cit, p. 20.

(²⁰) - William GALLOIS, "Local Responses to French Medical Imperialism in Late Nineteenth-Century Algeria", Social History Of Medicine , www.academia.edu, publication, 2006.

(²¹) -Annual Personnel Report ,1886, CAOM ,ALG 113 bis, file 1u/28, in W. GALLOIS,op.cit

(²²) - Robert LEJEUNE, "Médecins de bled,"in L'Algérieniste, trimestriel, n°11 ,7^{ème} année, 15sept.1980, p.14

(²³)- G.G.A, **L'assistance et l'hygiène publiques en Algérie**, Alger, ancienne maison Bastide-Jourdan, Jules Carbonel ,1927, p.41

(²⁴)- سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 7 ، ص 235

(²⁵)- C.A.O.M ALG GGA 1U/1 in HANNAH –LOUISE CLARCK , "Soigner au bled= cadres et éducateurs en médecine en Algérie pendant l'époque coloniale", Princeton university ,in www.andsdz.coloque/docs

(²⁶)-Ibidem

(²⁷)- O.C.O.B, **La France charitable et prévoyance tableau des œuvres et institutions du département d'Alger**, imp. éd. E. Plon Nourrit et Cie, paris, 1896., p p. 14- 17

(²⁸) - Ibid, p. 17

(²⁹) - H. ABADIE FEYGUINE, op.cit, p . 15

(³⁰) - L .RAYNAUD et H . SOULIÉ , et P . PICARD ,

Hygiène et pathologie nord africaines, assistance médicale, in C.C.A. 1830 – 1930, Paris VI, Masson et C^{ie} éditeurs, MCM XXXII. Tome 2, p. 514

(³¹) - G.G.A, op.cit , p. 133

(³²)-L .RAYNAUD et H . SOULIÉ , et P . PICARD, op.cit., p.516

(³³) -G.G.A, op.cit , p 133

(³⁴) - A.W.A ،Boite 1V229, R glementation des  pitaux
(1903-1961).regroupement des  pitaux. Fonctionnement de
l' pital Beni Menguelette,06/08/ 1903.

(³⁵) -Ibidem

(³⁶) - Ibidem

(³⁷) -O.C.O.B, op.cit.,p.17